أحد، فحرك الفول بيده ثم يدعو الناس : مخضرية ، مخضرية» (فضائح ونصائح ص/ ١٢٦) .

ومثلهم العلامة محمد أمان (رحمه الله) برجل بنى مسجدا فى سوق غاصة بالناس ثم وقف بينهم يدعوهم إلى الصلاة ، قائلا : « فليأت كل واحد على ما هو عليه ، المتوضىء بوضوئه ، والمحدث بحدثه ، والجنب بجنابته ، بل وحتى الحائض والنفساء ، لأننا لا نرد أحدا ، إذ قصدنا خلق مجتمع إسلامى عام شامل وكلنا إخوان مسلمون ، ولا داعى للتشدد لأن التشدد يفرق بين صفوف المسلمين » (مجلة الجامعة الإسلامية ص/ ٢٨٣ عدد: ٥٦ ,١٤٠٢هـ)..

وأعتقد أن تمييز الباطل من الحق لا يحتاج إلى كثير جهد ، فالله تعالى لا يقبل صلاة محدث حتى يتوضأ ، ولا جنب حتى يتطهر ، ومن أدرك ذلك علم أن الأمة لا تصلح بصفوف مخلطة ولا بعقائد فاسدة . فصراط الله تعالى واحد غير متعدد ، والصراط المستقيم هو الطريق الذى لا التواء فيه ، وهو طريق الفلاح . من استقام عليه فى الدنيا اجتاز الصراط المنصوب بين ظهراني جهنم فى الآخرة . . أما صرط الشياطين فهى كثيرة متباينة ، لا تقف على غاية ، ولا تنتهى إلى فلاح .. من سقط فيها فهو مستحق لعذاب الله فى الآخرة . وعليه فلا أظن دعوة تزعم أنها دعوة شمولية تجمع أطيافا متنوعة تحت لواء واحد ثم تنتهى إلى غاية واحدة مقصودة أو تكون فى المقدمة.فقد أرادوا التجميع الديني من أجل الضغط السياسى ، ففرطوا فى الدين ، وأفلسوا فى السياسة، فلا أرضا قطعوا ولا ظهرا أبقوا .

احتجاج قديم ..

كان دعاة الإخوان قديما يحتجون على تقديم فكر التجميع ووحدة الصف على كلمة التوحيد بقول نبى الله هارون حين عاتبه نبى الله موسى(عليهما السلام)قائلا :﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاَ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه ٩٢، ٩٣) فقال له هارون : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه آية . ٩] فيقولون . دعوا الناس على ما هم عليه حتى تتوحد كلمتهم ..

وينصب إمامهم وترد مقدساتهم ..وتعود الدولة الإسلامية .. وهذا بلا شك خطأ تأصيلي ؛ وذلك لأن الله تعالى بين أن هارون (عليه السلام) لم يتجاوز النزاع القائم بين الموحدين والمشركين ، ولم يهادن أهل الباطل من قومه ، بل إنه أدى ماعليه من الأمر والنهى ، كما أمره الله .. قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه ٩٠،٩٠] وبسبب ذلك كاد أن يقتله سفهاء بنى إسرائيل ، وهذا ما دل عليه قوله : ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ [الأعراف. ١٥١) .

وقد عاتب موسى هارون على بقائه مع الذين اتخذوا العجل ، دون الهجرة إليه بعدما أن رأى منهم من الشرك ما رأى .. ثم إن الله تعالى كتب علي بنى إسرائيل الذلة والمسكنة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأمرهم أن يقتلوا أنفسهم ، إذا أرادوا أن يتوبوا إلى الله تعالى من فعلهم . فلو كانت الغاية مجرد التجميع كما يزعم الإخوان ما كانت تلك هى العاقبة . فليس للإخوان حظ فى الآية ، ولا يجب التهوين من قضايا الأمر والنهى ، لأجل التكوين والتجميع ووحدة الصف ..

متى أسفر حسن البنا عن فكر التجميع ..؟

أسفر حسن البنا عن فكر التجميع حين تعرض لنقد من جماعة أنصار السنة المحمدية ، جراء تهاونه فى محاربة البدع والمنكرات ، والاقتصار على جمع الناس حوله ، باختلاف ألوانهم ، على حساب الدين والمنهج ، اكتفاء بالموافقة على قيادته وبيعته .. فقام يرد على هذا النقد فى مجلة (الإخوان المسلمين) فى أواسط الثلاثينات ، كما ذكر محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢/ ٣٥٤) : فكتب مقالا رسم فيه مربعا كبيرا كتب على حوافه الأربع من الداخل" لا إله إلاّ الله محمد رسول الله " ورسم فى مركز هذا المربع مربعا صغيرا ، وكتب فيه : « إن إخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم فى حدود المربع الصغير الذي يقع فى مركز الدائرة ، وهم بذلك يقصرونها على الذين اكتمل فيهم كل مايرون أنه العقيدة الصحيحة وهذا عدد ضئيل . » أهـ

almawaddah.be

فجعل حسن البنا الذين يهتمون بتحقيق الدين ويردون على أهل البدع عاملين للإسلام فى حدود المربع الصغير ، الذى ليس فيه إلا القلة العددية ،

أما الإخوان فإنهم يعملون مع أصحاب المربع الكبير ، الذي يجمع كل من قال " لا إله إلا الله محمد رسول الله ". مهما كانت معتقداتهم ..

هذا هو طريق الإخوان : ترك الخصومة فى الله تعالى ، لأجل التفاف الناس حولهم ، والأستاذ المرشد لا يشغله فساد القدرية ، ولا ضلال المعتزلة ، ولا يؤرقه تكفير الشيعة الروافض لصحابة رسول الله ﷺ ، ولا يعنيه معتقد المعطلين لصفات الله تعالى . ولا خصومة بينه وبين اليهود .! فتصحيح المفاهيم الدينية لا يدخل فى جملة اهتماماته ! وهذا بالضرورة طعن فى مفهوم الشمولية الذى يغترون به على الجماعات الأخرى ..

وقد سيطر فكر التجميع على دعوة حسن البنا حين تكلم فى الصفات الربانية فقدم فكر التفويض والتجهيل على فكر الإثبات والتنزيه ، وقال عن الخلاف الدائر بين السلف وبين الخلف فى تلك القضية إنه : « لا يستحق من السلف ضجة ولا إعناتا » (ص/ ٧٦ من رسالة العقائد) وقال فى نفس الصفحة : « أن تأويلات الخلف لا تستدعى هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا » أهـ ودعا إلى إهمال النظر فى تلك القضايا لحساب وحدة الصف ، وقال فى (رسالة العقائد .ص/ ٧٨): « وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة » أهـ ودعا إلى ترك الفصل فى مسائل النزاع على العموم ، وكانت حجته فى ذلك عدم وجود الإمام وغياب الدولة (فى قافلة الإخوان . ص/ ٢٠٨) .. فالإخوان ينتظرون الإمام منذ أن قامت دعوتهم سنة ١٩٢٨م إلى الآن ، كما ينتظر الشيعة إمامهم المعدوم من ٢٦٥هـ إلى الآن . فلا تشغلن بالك بمعرفة الحق ، إلى أن يخرج الإمام ؛ وتقام الدولة الإخوانية . وحتى ذلك فلتعبد ربك بالطريقة التى تراها .. المهم أن تكون تحت راية حسن البنا .. تسمع وتطيع وتكتم ! وإلا فمصيرك الطرد والإبعاد . . وما انتهى إليه من إرجاء الأمر والنهى إلى أن تعود الخلافة خلاف ما أمر الله تعالى فى كتابه

من رد النزاع إليه على كل حال دون التقيد بزمان أو مكان أو إمام ، قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء . ٥٩) .

وقد تبين أن الخلافة انقرضت ..

غير أن الدول الإسلامية باقية ، وإن كان كل قطر منفصل عن الآخر. لتعذر اتفاق الناس فى جميع الأقطار على أمر الخلافة .. فهذا أمر أقره علماء الأمة .. فلا يعنى عدم وجود الخلافة غياب الدولة المسلمة ، كما يعتقد الإخوان .

القاعدة الشهيرة ..

ومن أجل الوصول إلى تجميع الناس حوله أطلق حسن البنا قاعدته الشهيرة " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ".. يقولون إنه أخذها من الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) الذى حاول التقريب مع الشيعة ، ولكنه فشل فى ذلك . ولما تبين له أمرهم عاداهم معاداة شديدة ، ولم يتجاوز عن الخلافات التى بين أهل السنة وبينهم ، لأجل وحدة الصف ، كما فعل حسن البنا . . وقد قدس الإخوان تلك الكلمة التى ضيعت المناهج ، وأفسدت المعتقدات ، وأسقطت الحجة الرسالية ، وفتحت الجسور مع أهل الباطل ، من أجل إقامة الدولة الإخوانية ، قال محمد عاكف : « وحتى الأحزاب العلمانية سيكون بيننا وبينها علاقة تحكمها القاعدة المشهورة : نتعاون فيما نتفق فيه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.. ولا قطيعة ولا حرب» (إسلام أون لاين.نت/ ١٥-١-٢٠٠٤).

وقد كانت تلك الكلمة سببا فى بقائهم بعيدين عن كثير من أمور الدين العلمية والعملية ، بسبب تجميد التناصح السنى فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى . وهذا هو الذى أخذه الشيخ الألباني على جماعة الإخوان ، حيث قال : « الإخوان المسلمون ينطلقون من هذه القاعدة التي وضعها لهم رئيسهم الأول وعلى إطلاقها ولذلك لا تجد فيهم التناصح المستقى من نصوص كتاب الله وسنة رسول الله . هذه العبارة هي سبب بقاء الإخوان المسلمين نحو سبعين سنة عمليا

almawaddah.be